جامعة جيهان – اربيل
قسم العلاقات الدولية والدبلوماسية
النظام الدولي من منظور البنائية
م. امانج علي عثمان

نشأة النظرية البنائية

- يرجع مصطلح «البنائية» لنيكولاس أونوف، فقد أوجده بهدف وصف النظريات التي تشدد على طابع البناء الاجتماعي للعلاقات الدولية، لكن (الكسندر فيندت) يعد من أشهر دعاة البنائية الاجتماعية في مجال العلاقات الدولية، إذ يعد كتاب فيندت "نظرية اجتماعية في السياسة الدولية" من أهم الكتب الذي يرى فيه العديد من الأكاديميين مرجِعاً للنظرية البنائية .

- وأصبحت البنائية منذ أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات واحدة من المدارس الفكرية الرئيسية في العلاقات الدولية.

- وقد أسهمت البنائية إسهاماً مهماً في نظرية العلاقات الدولية، مُضيفة بمقتربها السوسيولوجي وما يترتب عليه من استخدام مفاهيم سوسيولوجية في السياسة الدولية بُعداً أبستمولوجياً جديداً يسهم في دراسة دوافع السلوك الدولي لوحدات

مفاهيم البنائية الأساس

إن المفهومين الرئيسين التي تقوم عليها البنائية في العلاقات الدولية هما:

1- "البنية structure": هي المؤسسات والمعاني (القيم والأفكار والهويات) المشتركة والتي تشكل معا سياق الفعل الدولي.

2- "الفاعلagent" : والفاعلون هم الوحدات التي تتفاعل مع بعضها ومع البنى الاجتماعية ضمن هذا السياق فتؤثر وتتأثر بها.

والتفاعل المستمر والدائم بينهما دون أن تفوق أهمية أحدهما أهمية دور الآخر، بل كلاهما، أي أن البنية والفاعل هما على الدرجة ذاتها من الأهمية.

المرتكزات التي تبني عليها البنائية:

سنورد

مثا

تطبيقيًا لتحليل العلاقات الدولية.

حدد فيندت الفكرة الرئيسة التي تتمحور حولها البنائية في مثال عملي:

(إن 500 سلاحا نووياً بريطانيًا أقل تهديداً على الولايات المتحدة الأمريكية من خمسة أسلحة نووية تمتلكها كوريا الشمالية).

هذا المثال يوضح مرتكزات تقوم عليها البنائية في تحليل السياسة الدولية:

أو

لـ اً: تفسير القوة المادية لا يمكن أن يكون بمعزل عن المحتوى الاجتماعي: إن سلاح كوريا الشمالية النووي أخطر على

* ثانيا: تتأثر المصلحة الوطنية للدول بمؤثرات اجتماعية تسهم في تشكيلها: إن الفهم الاجتماعي للقوة، ينسحب أيضا على مفهوم المصلحة الوطنية، ففي المثال الذي طرحه ويندت، يكون للولايات المتحدة الأمريكية مصلحة وطنية في الوقوف بوجه كوريا الشمالية، لأن القادة الأمريكيين يدركون العلاقة "العدائية" معها، بينما ليس من مصلحتها احتواء بريطانيا لأن الولايات المتحدة الأمريكية تدرك المنافع المتبادلة بينها وبين بريطانيا، ليس انطلاقاً من فهم المصلحة الذي تقدمه الواقعية، إنما من منطق العلاقات الاجتماعية "الصداقة، العداء" ، اي أن المرتكز الثاني للبنائية هو المحتوى الاجتماعي للمصلحة.

* ثالثا: طبيعة النظام الدولي هي الأناركية (كما أكدت النظريات الواقعية والواقعية الجديدة) ولكن لا يمكن تحليلها دون النظر إلى العلاقة التفاعلية بين البنية والفاعلين، وبناء عليه، فإن الأناركية "غياب السلطة الشرعية المنظمة على الصعيد الدولي" يتم تحليلها وفقا للمنضور البنائي بفكرة التنافس على الموارد المحدودة، وهذا التنافس هو علاقة اجتماعية.

المنظور البنائي والنظام الدولي

* في المنظور التقليدي لدراسة النظام الدولي والذي سيطرت عليه الافتراضات التحليلية للواقعية البنيوية كانت طبيعة هذا النظام تعرف وفقا لمنظور مادي بحت وهو المتعلق بطبيعة البنية الدولية وهي تتحدد أيضا بناءً على عاملين ماديين: الأول هو عدد القوى الكبرى، والثاني هو طبيعة العلاقات فيما بينها، فإذا كان هناك قوة واحدة كبيرة فهذا يسمى بالبنية الأحادية، أما إذا كانت هناك قوتين كبريتين، وهناك تعادل في موازين القوة الشاملة بينهما، فهذه تسمى بنية ثنائية قطبية جامدة، أما إذا كان هناك ميل نسبي لأحدها في موازين القوى فهذه تسمى ثنائية قطبية مرنة، وفي حال كان هناك قوى كبرى متعددة، وكان هناك توازن قوة فيما بينها فهذا يسمى نظام التعددية القطبية الجامدة، أما إذا كان هناك قوى كبرى متعددة وكان هناك اختلال نسبي في موازين القوى فيما بينها فهذا يسمى التعددية القطبية المرنة.

* أن تعريف النظام الدولي يتحدد على أساس طبيعة الثقافة الدولية السائدة المسيطرة وليس على أساس التوزيع المادي للقوة كما كان ينظر الواقعيون، وعلى خلاف الواقعيين يرى البنائيون أن النظام الدولي يأخذ ثلاث صور محددة "نظام الثقافة الهوبزية"، نسبة إلى توماس هوبز، وهو النظام الذي يجعل السلوك الصراعي هو السلوك الشائع في العلاقات الدولية، و"نظام الثقافة اللوكية"، نسبة إلى جون لوك، وهو النظام الذي يطرح السلوك التنافسي باعتباره هو السلوك الأكثر انتشارا،" ونظام الثقافة الكانطية"، نسبة إلى إيمانويل كانط، وهو النظام الذي يجعل السلوك التعاوني هو السلوك الدولي الشائع. اذا فالنظام الدولي هو عبارة عن وعاء فارغ ليس

نظام العالمي الجديد (نظام ايدولوجيا العولمة)

* **وعليه فان النظام السائد منذ نهاية الحرب الباردة من وجهة نظر بنائية هو "نظام ايدولوجيا العولمة" وهذا ما يفسر من وجهة نظر البنائيين التحولات في طبيعة النظام الدولي، فالنظام الدولي لا يتغير لان علاقات القوة تغيرت، ولكن باعتباره انعكاس لتغير طبيعة العقيدة الفكرية السائدة، وهذا الطرح النظري هو الذي وظفه البنائيون في تفسير نهاية الحرب الباردة، إذ أن هذا التحول لم يحدث، لأن علاقات القوة تعرضت للاختلال لصالح الولايات المتحدة، لا بحدوث تغيرات في المؤشرات المادية للقوة، كما يرى الواقعيون، ولكن نتيجة تفجر صراع أفكار داخل الاتحاد السوفيتي بين الأيديولوجية الاشتراكية، وهي الأيديولوجية الرسمية وبين الأفكار اللبرالية والتي دخلت في مسار الانتشار مما أدى إلى تفكك الاتحاد نتيجة التمرد من بعض الكيانات التي أصبحت مقتنعة بالأيديولوجية الليبرالية.**

انهيار الاتحاد السوفيتي من منظور بنائي

* لقد استوعبت الفيدرالية الروسية جيدا الدرس من انهيار الاتحاد السوفيتي وذلك من ثلاث زوايا اساسية:

* الأولى - أن هذا الانهيار حدث نتيجة صراع الأفكار داخله وهو ما يثبت قيمة الأفكار في تفاعلات العلاقات الدولية.

* والثانية- ان آلية الهيمنة الأمريكية في مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة لم يرتبط فقط بالتطورات غير المسبوقة للقوة الأمريكية بالمعنى المادي- عسكريا واقتصاديا- ولكن من خلال جاذبية أيديولوجيا العولمة التي تتبنها الولايات المتحدة في سياستها الخارجية والتي تعتبر جذابة للكثير من الشعوب على اعتبار تضمنها لمفردات النظام الديمقراطي وحقوق الإنسان.

* أما الزاوية الثالثة فهي الحرص على تطوير عقيدة فكرية تستطيع اختراق المجتمعات الغربية في حد

العقيدة النظامية

حرصت روسيا في السنوات الأخيرة على تطوير عقيدة فكرية جديدة تسمى بالعقيدة النظامية وهي العقيدة التي تقوم على المرتكزات الفكرية التالية:

* **أولوية الاستقرار على الديمقراطية:** حيث ترى العقيدة النظامية أن تدعيم الاستقرار داخل الدول يجب أن يكون هو القيمة الأساسية التي يجب دعمها وليس تأسيس الديمقراطية كما تدعو أيديولوجيا العولمة.

* **معاداة الانفتاح الفكري غير المحدود:** ترى العقيدة النظامية أن الآثار السلبية للانفتاح الفكري غير المحدود وهو أحد الخصائص الأساسية للعولمة قد اكتملت عندما بدأت هذه الآثار تسير في الاتجاه العكسي.

* **الانحياز الأيديولوجي للقانون الدولي:** ترى العقيدة النظامية أن أيديولوجيا العولمة تتخذ موقفا سلبيا من القانون الدولي على اعتبار أن هذا القانون يمثل آليات بطيئة لا تتوافق مع التغيرات السريعة التي يعرفها العالم.

* **إعادة الاعتبار للنزعة الحمائية في الاقتصاد الدولي:** ترى العقيدة النظامية أن العولمة الاقتصادية التي

الصورة الاولى/ نظام ما بعد العولمة الغربي

يرتبط تأسيس هذا النظام بتوسع الاقتناع بالعقيدة النظامية على المستوى الدولي وخاصة داخل المجتمعات اللبرالية الغربية، وقد كان الانسحاب البريطاني من الاتحاد الأوربي هو أحد الأحداث الكبرى التي تؤيد إمكانية تشكل هذا النظام، فهذا الانسحاب له دلالة كبرى لأن بريطانيا كانت من أكثر الدول حماسة للدفاع عن أيديولوجيا نظام العولمة حيث تولت بريطانيا منذ فترة رئيس الوزراء البريطاني الاسبق توني بلير الدعوة إلى توسيع العولمة لتشمل الأبعاد السياسية، من خلال ما سمي "عقيدة توني بلير" والمساماة أيضا "الليبرالية التدخلية" والتي تقوم على المرتكزات التالية:

- **أن الليبرالية التدخلية والتي تشمل أساسا آلية التدخل الإنساني لا تمثل خيارا تفضيليا بقدر ما صارت توجها مهما في الممارسة الدولية، بما يعني الشرعنة الواقعية لهذا التدخل .**
- **أن القيم الغربية هي الأكثر إقناعا وتقبلا في العالم**
- **أن الحل الأمثل للمشاكل العالمية مرتبط بالدعم القوي للقيم الغربية بحيث أنه لا يمكن استبعاد أي وسيلة لتحقيق هذا الهدف بما فيها استخدام القوة العسكرية حيث أن التدخل يجب أن يكون جريئا وشاملا ومتسقا, وفي حين تبقى الأولوية للعمل الجماعي (في إطار منظمة الأمم المتحدة) فإن إمكانية أن يتصرف طرف من الأطراف بشكل انفرادي نيابة عن الجماعة الدولية تبقى قائمة مادام أن هذه الممارسة تتعلق بقضية عادلة.**

* **تبقى العولمة والاعتماد المتبادل أمرا واقعاً.**

* ويأتي الانسحاب البريطاني من الاتحاد الأوربي ليتوج مجموعة من التحولات التي تحدث في القارة الأوربية والتي تعتبر في مجملها معادية لايدولوجيا العولمة:

* **1- صعود الأحزاب ذات التوجه القومي والصراع حول مفهوم الديمقراطية :**

ففي الوقت الراهن هناك 47 حزب ذو نزعات قومية في القارة الأوربية وهي تسعى إلى تعزيز نفوذها في المؤسسات المنتخبة، ففي ثلث بلدان الاتحاد الأوربي أصبحت هذه الأحزاب أعضاء في حكومات ائتلافية ونجحت في تمرير الكثير من المطالب، وتشكك هذه الأحزاب في النظام الإقليمي الأوربي كما أنها تحمل عداءا صريحا لحلف الشمال الأطلسي وتنادي بغلق الحدود ووقف التجارة الحرة وترفض هذه الأحزاب التقسيم التقليدي للأحزاب الأوربية بين اليمين واليسار وترى أن التقسيم الصحيح هو بين الأحزاب القومية المناهضة للعولمة والأحزاب التي تدعمها.

2-الآثار السلبية للعولمة الاقتصادية في القارة الأوربية: فالانسحاب البريطاني من الاتحاد الأوربي أثبت أن الذين ينتمون للطبقة العاملة والطبقة المتوسطة والذين يشعرون أنه تم تهميشهم بسبب العولمة هم أكثر غضبا مما كان يعتقده صناع القرار ولم يعد من الممكن تجاهلهم. كما في ظل الانفتاح الاقتصادي والثقافي العالمي على الآخر، الذي تفرضه عمليات العولمة الجارية على نطاق واسع،

3- تزايد عدد المهاجرين وتدفق اللاجئين وطالبي العمل المنتمين إلى أقليات قومية ودينية وعرقية مختلفة في اوروبا، مما أدى إلى تنوع وتعددية ثقافية في المجتمعات الأوروبية، في سياق كهذا، لم يعد ينظر إلى المهاجرين فقط كمصدر تهديد لفرص العمل ولدولة الرفاه في أوروبا، ولكن كمصدر تهديد للهوية والثقافة الوطنية أيضاً من قبل الآخر، وأضحت فئات واسعة من المجتمع الأوروبي تتجه نحو إظهار مزيد من عدم الثقة، وحتى العداء تجاه الأجانب وثقافتهم وقيمهم.

* كذلك يعتبر فوز دونالد ترامب دافعا قويا لتشكل نظام ما بعد العولمة الغربية إذ أن شعار السياسة الخارجية الذي رفعه دونالد ترامب مرشح الحزب الجمهوري والذي
* عنوانه "أمريكا لا عولمة".
* وتمسكه بالانسحاب من النظام المتعدد الأطراف للتجارة العالمية .
* ايضا يتبني ترامب مبدأ الحماية التجارية للسوق الأمريكي .
* ويضاف إلى ذلك عداء ترامب لكل الثقافات الدخيلة على المجتمع الأمريكي وخاصة الثقافة الإسلامية.
* فكل هذه المؤشرات تثبت أن السياسة الخارجية لدونالد ترامب ستكون متماهية إلى حد كبير مع العقيدة النظامية التي تروج لها روسيا وهو ما يحفز تقاربا روسيا أمريكيا من اجل تأسيس نظام ما بعد العولمة الغربية.

الاحتمال الثاني/ نظام القطبية الأيديولوجية الجديدة

* في المقابل يتوقع أن تقود القوى الغربية المرتبطة بالأيديولوجيا الليبرالية حملة مضادة لانتشار العقيدة الروسية واستمرار الدفاع عن أيديولوجيا الليبرالية الغربية باعتبارها العقيدة الفكرية التي يجب ان تهيمن في النظام الدولي، وهذا سيجعل النظام الدولي يكتسب خصائص قطبية أيديولوجية جديدة مشابهة لتلك التي كانت سائدة في فترة الحرب الباردة وهذا مرتبط بما يلي:

* تكاليف التراجع عن العولمة في الدول الغربية: إن الآثار السلبية للدول الغربية للتراجع عن العولمة سيحفزها بشكل كبير على الاستمرار في الدفاع عنها. ويرى جيفري فرانك J.Francel)) بأن التراجع عن العولمة في الدول الغربية له العديد من الآثار الكارثية ومن ذلك فتح الباب أمام الحروب التجارية، وكذلك العواقب الوخيمة على النمو الاقتصادي،

- **إنقاذ وضع العولمة في أوربا يفتح صراع مباشر مع روسيا:** إن إنقاذ الاتحاد الأوربي من التفكك باعتبارها واجهة نظام العولمة في أوربا يرتبط باتخاذ مجموعة من الإجراءات تفتح جبهة صراع مباشر مع روسيا، ومن ذلك ما يقترحه جورج سورس الذي يرى أن إنقاذ وضع العولمة في أوربا من الناحية الاقتصادية مرتبط بامرين : الأولى ضرورة التمييز بين عضوية الاتحاد الأوربي والعضوية في منطقة اليورو، أي ان الدول الأوربية مطالبة بتوسيع دائرة الدول المنتمية إلى منطقة اليورو، حتى تستطيع اكتساب حلفاء جدد وخاصة في شرق المتوسط وأوربا الشرقية، والثانية: أن الدول الأوربية يجب أن تكون متحفزة أكثر لمواجهة العدو الروسي، ولان أن أعظم أصول الاتحاد الاروبي موجودة في أوكرانيا فان دول الاتحاد الأوربي مجبرة على مضاعفة الدعم للنظام الأوكراني لان دفاع الاوكرانيين عن بلدهم هو دفاع عن أوربا في حد ذاته

- **صراعات الهوية داخل المجتمعات الغربية:** مما يحفز أيضا على ضرورة التمسك بالايدولوجيا اللبرالية باعتبارها الايدولوجيا التي يجب أن تبقى مهيمنة على البنية الثقافية للنظام الدولي هي الخطورة المتوقعة لإثارة صراعات هوية داخل المجتمعات الغربية في حد ذاتها، فالمجتمعات الغربية في مجملها هي مجتمعات متعددة الأعراق، لا ترتبط هويتها بمكون أصلي وقد زادت اتجاهات العولمة من وجهة نظر من يدافعون عنها من إزالة الفروق بين تلك الهويات المختلفة وأن اندثار نظام العولمة يؤدي إلى انتعاش الهويات الفرعية

ختاما

لقد حاولنا في هذا السمنار أن نوظف المنظور البنائي من اجل استشراف الاتجاهات المستقبلية للنظام الدولي، والتي حددناها في صورتين أساسيتين، **صورة نظام ما بعد العولمة الغربية** والذي يرتبط تشكله في واقع العلاقات الدولية بمدى انتشار العقيدة النظامية- وهي العقيدة الأيديولوجية للسياسة الخارجية الروسية في الوقت الراهن- في العلاقات الدولية وخاصة داخل المجتمعات الغربية أين ظهرت مجموعة من المؤشرات القوية تؤيد هذا الاتجاه، وفي مقابل ذلك قد ينفتح **النظام الدولي في المستقبل على قطبية أيديولوجية جديدة شبيهة لتلك التي كانت سائدة في فترة الحرب الباردة** استنادا إلى تحفز القوى الغربية لمقاومة انتشار العقيدة النظامية والدفاع عن أيديولوجيا العولمة الغربية باعتبارها العقيدة الفكرية التي يجب أن تبقى مشكلة للبنية الثقافية للنظام الدولي

شكرا لاصغائكم